Linguistic and Philosophical Investigations
ISSN: 1841-2394, e-ISSN: 2471-0881
Vol 25 (1), 2026
pp. 993–1004

Semantics is a fertile linguistic knowledge

Dr. Fatima Brahimi [1]

[1:] Higher School of Teachers, Bouzareah (ENSB)- Algeria,
Fatima.brahima@ensb.dz

Abstract:

Anyone who traces the origins of linguistics will find that their methods, terminology, and subjects have been perfected in the modern era. However, this does not negate the fact that the ancients had delved into most of these sciences or established their first edifice centuries ago. Semantics was not immune to this, as we find it to be an ancient, modern science; modern in its independence from other sciences in subject and method; ancient in that semantics existed wherever language existed, as it is a level among its levels; if not the ultimate goal of the other levels of phonetics, morphology, and syntax. The ancients in all major human civilizations (Indians, Arabs, Greeks, etc.) studied them as part of a whole and made them the ultimate goal of linguistic study and its highest purpose. Therefore, modern semantics, at its inception, was not a product of the modern era; rather, interest in semantics has existed since humans began to care about language. From this standpoint, our research paper comes to answer a set of problems that have occurred to us, perhaps the most prominent of which are: What is semantics? What are its most important concepts? What were the circumstances of the emergence of this science, and what is its subject? What is cognitive linguistics? What is cognitive semantics

Keywords: semantics, linguistic levels, linguistic sign, cognitive semantics

Received: 09 /07/ 2026 **Accepted:** 26 /07/ 2026 **Published:** 01 /09/ 2026

علم الدلالة معرفة لسانية خصبة

د. فطيمة براهيمي [1]

[1]: المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، fatima.brahima@ensb.dz

الملخص:

إنّ المتتبع لنشأة علوم اللّغة يجد أنّها أحكمت مناهجها ومصطلحاتها وموضوعاتها في العصر الحديث إلّا أنّ هذا لا ينفي أنّ القدامى قد ولجوا أغلب هذه العلوم أو أسّسوا صرحها الأوّل منذ قرون خلت ولم يكن علم الدلالة بمنأى عن هذا، إذ نجد أنّه علم حديث قديم؛ حديث في استقلاله عن العلوم الأخرى موضوعا ومنهجا؛ قديم في كون الدلالة كانت حيث ما كانت اللّغة فهي مستوى من مستوياتها؛ إن لم تكن غاية المستويات الأخرى الصّوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة إذ درسها الأقدمون في كل الحضارات الإنسانيّة الكبرى (الهنود، العرب، اليونان الخ) كجزء من كلٍّ وجعلوها منتهى الدّرس اللغويّ وغايته الأسمى، لذا فإن علم الدلالة الحديث حال نشأته ليس وليد العصر الحديث وإنّما كان الاهتمام بالدلالة منذ بدأ الانسان يهتم باللغة. من هذا المنطلق تأتي ورقتنا البحثية للإجابة عن جملة من الإشكاليات عنّت لنا لعلّ أبرزها: ما الدّلالة؟ ما أهمّ مفاهيمها؟ ما ظروف نشأة هذا العلم وما موضوعه؟ ما اللسانيات العرفانية؟ وما الدلالة العرفانية؟

الكلمات المفاتيح:

علم الدلالة، المستويات اللسانية، العلامة اللسانية، علم الدلالة العرفاني.

مقدمة:

تقدّم لمقاربة الدلالة القدامى والمحدثون من اللسانيين والفلاسفة، وقد تباينت الآراء في ذلك واحتدم النقاش في كنه الدلالة ومدى تمثلها في درج الكلام تمثل المستويات الأخرى خاصة الفونولوجية والتركيبية؛ فاللسانيون البنويون أرجئوا دراسة الدلالة إلى وقت لاحق لأنّ المعنى –حسبهم– ليس ظاهرة تقبل الملاحظة وإنما ظاهرة غيبيّة خفيّة، أمّا تشومسكي فحاول تقديم نموذج يصف اللغات البشرية مركزا على الجانب التركيبي جاعلا من المكونات الأخرى هامشية خاصة المكوّن الدلالي ممّا أثار حفيظة العديد من تلامذته أمثال جاكندوف فانبثق توجه جديد أعطى للدلالة أهمية تعادل أهمية التركيب والصوت فظهرت اللسانيات العرفانية التي من أهم مباحثها الدلالة العرفانية.

1- ماهية الدّلالة:

1-1- لغة: تعاورت الدلالة تعريفات عديدة نذكر من بينها:

يقول ابن فارس (ت395ه): « الدال واللام: أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء، فالأوّل قولهم: دلَلْتُ فلانًا على الطريق، والدليل: الأمارة على الشيء، وهو بيّن الدَّلالة والدِّلالة»[1]

يقول ابن منظور (ت 711ه): « دلّ فلانٌ إذا هدى...وقد دلّه على الطريق يدلّه دَلالَةً ودِلَالَةً ودُلُولَةً، والفتح أعلى»[2]

من هذين التعريفين نخلص إلى أنّ المعنى اللغويّ للدّلالة هو الهدي والإرشاد، إذ إنّ الدلالة ترشد وتهدي إلى معاني الحقيقة التي يريد المتكلم إيصالها إلى السامع.

2- اصطلاحا:

تقوم دراسة اللغة على مستويات عدّة، تتداخل فيما بينها، المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي، ولعلّ المستوى الدلالي من أهمّ هذه المستويات وأصعبها، لأنّ الطبيعة الحقيقية للغة لا يمكن فهمها إلّا من خلال فهم المعنى، وفي هذا السياق ينطلق الباحث إبراهيم أنيس من مقولة مفادها أنّ "دراسة الدلالة هي قمّة التحليل اللغوي وهدفه النهائي، إذ الغاية من اللغة الاتّصال والتفاهم، ودون دراسة المعنى يصبح التحليل اللغوي لغوا لا طائل من وراءه"[3]

ومهما يكن من أمر فقد تقدّم لتعريف الدلالة علماء كثُرٌ ومن بيئات مختلفة، لغوية وفلسفية ونحوهما. من ذلك نذكر:

يذهب الفيلسوف ابن سينا (ت 428ه) إلى القول بأن "معنى دلالة اللفظ، أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أنّ هذا المسموع لهذا المفهوم فكلّما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه"[4] فبحسبه الدلالة يشكلها الصوت والحسّ والنفس والخيال.

كما ينص الشريف الجرجاني (ت 816ه) في كتابه (التعريفات) بأن الدلالة: "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدّال، والثاني هو المدلول"[5] ومنه تستوجب الدلالة توافر قطبين هامّين، الدّال (الصورة السمعية الأوكستيكية) والمدلول (التصور/ المفهوم)، وحضور أحدهما يستوجب حضور الثاني وأنّ الدلالة لا تقوم على أحدهما دون الآخر بل هما معًا.

كما يعرّف ابراهيم أنيس (اللفظ) أو (الدال)؛ أحد طرفي العلامة اللغوية مشتغل الدلالة في كتابه (دلالة الألفاظ) بقوله "إن اللفظ أداة الدلالة وأن الشائع والمألوف أن اللفظ مرادف للكلمة إلا أن بينهما فرقا فاللفظ عملية النطق وكيفية صدور الصوت، وما يستتبع هذا من حركات اللسان والشفتين، فإذا ربطت هذه الأصوات المنطوق بها وما يمكن أن تدلّ عليه من معنى تكونت الكلمة فالكلمة لفظ دلّ على معنى"[6]

2-1- الدلالة في الدرس اللساني الحديث:

لم تكن الدّراسات الدّلاليّة القديمة دراسة علميّة حقيقيّة، وبهذا القول يمكن القول إنّ بواكير هذا العمل نشأت في أواسط القرن التّاسع عشر هذا ولم تزل الدّراسات الدّلاليّة في العصر الحديث تتّسع وتستقلّ في مؤلّفات. ومن أبرز من أسهم في وضع أسس علم الدّلالة **ماكس مولر وميشال بريـال** اللّغوي الفرنسي الّذي وضع بحثا بعنوان مقالة في السّيمانتيك "essai de sémantique" عام 1897، وتعود جذور الكلمة sémantique إلى اللغة اليونانية sema والتي تعني الدليل أو العلامة، وقد كان منهج بريال قائما على معاينة الدلالة انطلاقا من الكلمات وقد عرّف علم الدلالة بقوله: "علم الدلالة يعنى بتلك القوانين التي تشرف على تغير المعاني، ويُعاين الجانب التطوري للألفاظ اللغوية ودلالاتها"[7].

وقد تطوّرت الدّراسة الدّلاليّة حديثا عند الأوروبيّين وظهرت أسماء مهمّة، مثل: فردينان دي سوسير وأوجدن و ريتشارد اللّذان وضعا مؤلّفهما الشّهير بعنوان (Meaning of the meaning) أي: معنى المعنى عام 1923 حيث وضعا نظريّة للعلامات والرّموز.

إن فردينان دو سوسير قارب الدلالة من خلال العلامة اللسانية وخضائصها. يقول: " إن العلامة اللغوية لا تربط شيئا باسم بل تصوّرا بصورة سمعية. هذه الأخيرة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي البصمة النفسية للصوت، أو ذلك الانطباع الذي تشكله على حواسنا"[8] وحتّى يؤسس دي سوسير هذا الرأي ويدعمه قدّم دليلا من الواقع اللغوي، إذ يقول:" إنّ الصورة النفسية (السيكولوجية) لصورنا السمعية تظهر جيّدا عند ملاحظتنا للّغة الخاصة بنا، حيث بإمكاننا أن نتحدث مع أنفسنا، أو أن نأتي بقطعة من أذهاننا دون تحريك الشفتين أو اللسان"[9]

كما قدّم الإنجليزيان ريتشاردز وأوجدن تصوّرا للمثلث الدلالي بأنّه يتكون من دال ومدلول ومرجع حسب المخطط الآتي:

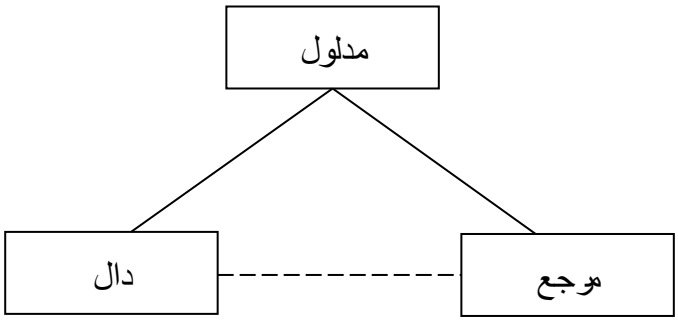

أما العرب القدامى والمحدثون فقد تقدموا لدراسة الدلالة انطلاقا من قضايا اللفظ والمعنى؛ حيث تعدّ قضيّة اللّفظ والمعنى من أهمّ القضايا التي اشتغل عليها العرب القدامى والمحدثون في مباحث الدّلالة ومن هؤلاء:

ابن جني (ت 392 هـ) حيث عقد أربعة أبواب في كتابه الخصائص في علاقة اللفظ بالمعنى والتي وسمها على الترتيب: باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، وباب الاشتقاق الأكبر، وباب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وباب إمساس الألفاظ أشباه المعاني. يقول ابن جني: في الباب (74): باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " (...) وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني، وهذا باب واسع، من ذلك قول الله سبحانه: ﴿**أَلَم تَرَ أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا**﴾ [مريم / 83] أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزُّهم هزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ؛ لأنّك قد تهزّ ما لا بال له؛ كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك[10]

كما تكلم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن العلامة اللسانية وغير اللسانية من خلال الكليات الخمس (اللفظ، الإشارة، الخط، العقد، النصبة) وهو ما اشتغل عليه شرحا وتفصيلا الدكتور محمد الصغير بناني في أطروحته للدكتوراه[11] وهو ما يجرنا إلى الحديث عن: كيفية انتقال الدلالة من العلامة اللغوية إلى العلامة غير اللغوية.

3- الدلالة من العلامة اللغويّة إلى العلامة غير اللغويّة:

لما كانت العلامة اللغوية هي الأساس في الدرس اللغوي أو ما يسمى بالعلامة اللسانية بدءا بمكوناتها الصغرى وهو الصوت وصولا إلى مكوناتها الكبرى من كلمة ثم جملة فنصّ (وكلّها مجتمعة تشكّل العلامة اللسانية) وهي التي تحمّل فيها المعاني وتشكّل القوالب اللغوية التي تؤدي وظيفة التواصل في أرقى مستوياته، فالمستوى الأرقى في أداء عملية التواصل هي العلامة اللسانية لأنها فعّالة في كل الأحوال، والإنسان مفطور ومجبول على تفسير هذه العلامات إذ له القدرة على اكتساب اللغة وتعلّمها فالطفل يولد مهيأ على هذه الآلية وهي آلية تعلّم المفردات وتعلّم صب المعاني في القوالب اللفظية ويصير بعد فترة من الزمن قادرا على تشغيل آلية الترميز بكفاءة وظلت العلامة اللغوية لوقت طويل موضوع الدراسات اللغوية والدلالية إلا أنّها انتقلت بعد ذلك إلى البحث عن كل ما يحمل معنى ليس فقط العلامة اللغوية ولكن أيضا ما يسمى بالعلامة العامّة، ثم إنّ العلم الذي اشتغل بها هو السيمياء وهو العلم الذي يبحث في كل علامة تقبل التأويل وتحمل دلالة، وبهذا اتسعت رقعة الدراسات الدلالية بعد أن كانت مشغولة في المعاني التي صُبّت في القوالب اللغويّة والعلامة اللغوية، أصبحت تبحث في كل ما له علاقة بالتحمّل الدلالي والتحمّل التأويلي ولهذا اشتغل علم الدلالة حتى وصل إلى كل ما يمكن أن يحمل معنى سواء كانت علامة لغوية أم غير لغوية شريطة أن تكون صالحة للتواصل، وأفضل مثال عن ذلك "الإشهار" فهو يحمل معان كثيرة

في قوالب لغوية وغير لغوية مختلفة بل صارت هناك تخصصات تدرس في الإعلام لأجل تطوير الإشهار وكيفية صياغة القوالب التي تحمل المعاني بدقة وتغري المتابع له بالتسوّق واقتناء السلع فالقارئ أو المتلقي صار أكثر من مجرّد متلقٍ وإنما مشاركٌ في عملية الانتاج من خلال ردة الفعل وهذا ما نراه ظاهرا في عملية الاشهار فاستعمال الألوان والرسومات هو تحميل لمعان مبثوثة في هذه القوالب غير اللغوية المختلفة.

وبما أن التواصل أصبح لا يقتصر على العلامة اللغويّة فحسب فقد صار موضوع علم الدلالة أكبرَ من مجرّد البحث في العلامة اللغوية وإنما تجاوزته إلى كل ما يمكن ان يكون قالبا يحمل المعنى وهذا الانتقال في الدراسات الدلالية كان له أساس في الدراسات اللسانية الحديثة منذ دو سوسير حيث بشّر بظهور علم يهتم بما هو أكبر من العلامة اللغوية التي هي جزء من نظام أكبر بكثير من نظام اللغة مما تحتاج إلى علم تكون اللسانيات فرعا منه وهو السميولوجيا إلّا أنّ هذا لم يكن إلا بعد فترة من الزمن أقصيت فيها الدراسات الدلالية عن الدراسات اللغوية كما ذكرنا سابقا، ثم إنه حتى وإن كانت العلامة اللغوية هي الأنجع في عملية التواصل إلّا أنّه لا يمكن إهمال السبل الأخرى للتواصل غير اللغوية.

وقد فتح هذا الانتقال المجال للدراسات الدلالية بأن توسع مجالها كدراسة الطقوس والعادات والتقاليد في المجتمع، دلالة الصور، المباني، وصارت الحياة العامة كلها تشتغل على الترميز وتحميل كل ما يمكن من معان ودلالات.

لقد أدى توسّع المجال الدلالي من اللغة إلى ما هو غير لغوي إلى ربط العلامة اللغوية بعلوم أخرى كان لابد من مشاركتها في ضبط المعنى ثم مشاركتها في تأويله وكذا طريقة قراءة وتأويل العلامة ومن هذه العلوم "الفلسفة"؛ التي أبعدت زمنا عن الدراسات اللغوية كونها تعتمد على الحدس.

لقد تطلبت دراسة المعنى الدخول إلى جميع التشعبات التي يفرضها فتعلقه بالجانب النفسي الاجتماعي، الفكري جعله من أصعب الظواهر في الدراسة ولهذا وجب الاستعانة بعلوم أخرى كالمنطق والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وكثير من التخصصات التي أُبعدت في بادئ الأمر عن دراسة اللغة بحجة تخليص اللغة من كل ما هو غير لغوي والذي لم تفلح فيه إلا بعض الدراسات الصوتية وبهذا أعيدت اللغة إلى مجالها ونصابها وصارت دراستها ودراسة المعنى تتطلّب تضافر علوم عديدة لأجل فهم الآلية التي تشتغل بها كما أصبح مصطلح اللغة يملك معنى خاصا وهو اللغة التواصلية التي تكون بالعلامات اللغوية ومعنى عاما يقصد به كل ما يشتغل كعلامات تحمل المعنى وبهذا أصبحت غاية دارس علم الدلالة النظر في اللغة بمعناها العام؛ أي نظام العلامات التي تحمل معنى سواء كانت لغوية أم غير لغوية ومن ثمّ البحث عن آلية تشكل المعنى وآلية ايصال المعنى وآلية تلقي المعنى وتفسير المعنى وتأويله كل هذا كان على دراس علم الدلالة أن يشتغل فيه وحوله وبهذا كان انتقال الدراسات الدلالية في البحث عن المعنى من العلامة اللغوية إلى العلامة غير اللغوية. ويمكن تلخيص ذلك بالقول إن ذلك بدأ حين بشّر سوسير

بالسيميولوجيا كعلم تشتغل داخله اللسانيات فهو بمثابة منظومة عامة أطلق عليه اسم السيميولوجيا أو علم العلامات العام أو السيمياء وهو دراسة كل علامة تقبل حمل المعنى وتقبل التأويل فلمّا حاول علماء اللسانيات عزل كل ما لا تصدق عليه آليات العلمنة عن اللغة وجدوا أنفسهم مضطرين إلى عزل دراسة المعنى رغم أنه من صلب اللغة ولا ينفك عنها وصارت بذلك دراستهم بعيدة عن دراسة الهدف الأسمى للغة وهو التواصل.

إنّ أكبر تساؤل أدّى إلى إعادة الدلالة إلى الدراسات اللغوية هو ما الغاية من دراسة بنية اللغة دون دراسة المعنى؟ وإن كنّا لا ننكر ما قدّمته الدراسات البنيوية خاصة في تحليل مكونات النظام اللغوي إلا أن ذلك لم يكن كافيا فصار البحث في المعنى أمرا ضروريا وطرحت التساؤلات أين يوجد هذا المعنى؟ هل هو في الكلمة؟ هل هو في فكر الإنسان وما الآليات التي تحمل هذه المعاني؟ ما القوالب التي تصب فيها الجماعة اللغوية معانيها؟ وكيف تتوافق هذه القوالب اللغوية مع القوالب غير اللغوية كالإيماءات والإشارات؟ وغيرها من الأسئلة جعلت علم الدلالة يتوسع من دراسة العلامة اللغوية إلى العلامات غير اللغوية، وكثير من هذه القوالب غير اللغوية تحمل معان أو تعزّز المعنى الموجود في القالب اللغوي كما هو الحال عند بعض المجموعات اللغوية كالتجّار مثلا؛ فهم يستعملون بعض العلامات غير اللغوية كآلية لإيصال المعنى المراد القار في نفس المتكلم أو المرسِل إلى المتلقي وهو ما يسمى بالصدق في المعاملة ذلك أن كل إنسان حال تواصله يستعمل كل الوسائل لينقل المعنى كما هو موجود في نفسه وذهنه إلى السامع، وهو ما يشتغل عليه علم الدلالة حيث يبحث في الوسائل التي من شأنها أن تجعل المعنى عند المتكلم والسامع متطابقا في التواصل المباشر أو الآني ثم ما يساعد على نقل المعنى بوضوح أكثر بين المتلكم والمتلقي ويستطيع أن يبلغ رسالته إلى السامع كاملة عبر الترميز اللغوي أو غير اللغوي.

كما يمكن أن نتساءل: لماذا تمّ الانتقال في البحث من العلامة اللغوية إلى العلامة غير اللغوية؟ إجابة عن ذلك نقول: لأن المعنى ليس مرتبطا بالعلامة اللغوية فحسب فالمعنى يكون في العلامة اللغوية وغير اللغوية التي بها يستعين المتكلم أو الباث أو المؤلف وكل من يريد التواصل سواء تواصلا فوريا مباشرا أو تواصلا آنيا فقد يتم نقل المعنى والتواصل فقط باستعمال العلامة غير اللغوية كالرسم مثلا فكم من رسّام يرسم لوحة تحمل معان كثيرة يحاول الناظر إليها فك الشفرة التي تحملها عبر آليات تكون مشتركة بينه وبين الرسّام لا يدركها الجميع، وهو الحال نفسه في الجرائد وصفحات الكتب ورسومات الكاريكاتير وأغلفة الروايات كل ذلك بقصد من واضعها وهو إيصال معنى لمستقبلها الذي يملك منظومة فك الشفرات وبقدر ما كان يملك ناصية النظام المتعامل به كلما كان قارئا مثاليا واستطاع فك الشفرات وفهم المعنى المراد من هذه العلامات، وهو ما يظهر أيضا في اللغة فكلما كان مستوى المتلقي أعلى أي متمكّنا من نحو اللغة وصرفها وبلاغتها كان فهمه واستيعابه أكثر.

إن ما يمكن أن نخلص إليه هو أن انتقال علم الدلالة من دراسة المعنى في العلامة اللغوية إلى العلامة غير اللغوية هو أن وجود المعنى لا يرتكز أساسا على العلامة اللغوية فقط وإنما على العلامة غير اللغوية أيضا؛ لأنها مساعدة في تحقيق التواصل المثالي مع العلامة اللسانية بالإضافة إلى أنها تحمل معنى في نفسها يصلح أن يكون وسيلة للتواصل وذلك ما يظهر في الفنون المختلفة كالمسرح والسينما والصور وما ظهر في وسائل التواصل الاجتماعي فالعلامات التي تستخدم في الحواسيب والهواتف الذكية رموز تحمل دلالات مختلفة كالوجوه المبتسمة أو الضاحكة أو الحزينة... ومهما كانت هذه الرموز تحمل الدلالة الحقيقة أم لا إلا أنها تؤدي الرسالة وتحقق التواصل بين طرفي العملية التواصلية ثم إن علم العلامات هو علم يدرس العلامة اللغوية والعلامات غير اللغوية مما يجعله أشمل من اللسانيات كما أن أحدث ما وصلت إليه النظريات الدلالية هو النظرية العرفانية التي تبحث في المعارف التي تساهم في وضع العالم الخارجي كواقع حقيقي إلى واقع افتراضي داخلي من خلاله نرمّز لتواصلنا اللغوي ونضع المعاني في قوالب تحملها سواء كانت قوالب لغويّة أم غير لغويّة.

4- علم الدلالة واللسانيات البنوية:

قامت اللسانيات أو علم اللغة الحديث الذي انفصل عن الدراسات التاريخية والدراسات المقارنة بعلمنة المعارف اللغوية، فاللسانيات رأت أنه لا بدّ من علمنة الدراسة اللغوية والنظر إلى اللغة على أنها ظاهرة يجب أن تدرس دراسة علمية، وذلك مسايرة ومواكبة للتطور العلمي الذي حصل في الميادين الأخرى خاصة العلوم التجريبية منها، لذلك ظهر التعريف الشهير للسانيات بأنها "دراسة اللغة دراسة علمية موضوعية لذاتها ومن أجل ذاتها" وهذا بالنظر إلى اللغة على أنها ظاهرة تخضع للمقاييس العلمية أو المنهج التجريبي الإمبريقي من ملاحظة ثم فرضية ثم تجربة ثم تنظير وهو ما أسست له اللسانيات الحديثة خاصّة في بداياتها مع اللساني السويسري "دو سوسير"

وبهدف علمنة الدراسة اللغويّة كما ذكرنا سابقا لجأ اللسانيون إلى تقسيم اللغة إلى ثلاثة مستويات تتمظهر فيها وهي: المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي. أما المستوى الدلالي فقد أرجأ إلى وقت لاحق لأنّ المعنى –حسبهم– ليس ظاهرة تقبل الملاحظة إنما هو ظاهرة غيبيّة خفيّة –إن صح التعبير– أو بتعبير الجاحظ "موجودة في معنى معدومة"؛ نميل في تفسيرها إلى الحدس والتكهنات ونختلف في نظرنا إلى المعنى وتفسيره من فرد إلى آخر ومثال ذلك: إن أردنا تصوير أو رسم شجرة فإنّ كلّ فرد يصوّر شجرة ليست بالضرورة مطابقة لصورة غيره، فلا يمكن أن نرسم كلّنا نفس الشجرة وإن اتفقنا في المفهوم، لذلك أرجأت الدراسات البنويّة حال نشأتها دراسة المعنى إلى وقت لاحق.

ولهذا تأخرت الدراسات الدلالية في اللسانيات البنيوية بحجة أن المعنى لا يخضع للمقاييس العلمية فكان أن ركزت الدراسات اللسانية في نشأتها على الدراسات الصوتية لأن الصوت هو أكثر ما يظهر من اللغة

وما يصدق عليه الملاحظة والتجربة والنظرية لذلك كان علم الأصوات من أولى العلوم اللغوية التي ظهرت مع اللسانيات.

5- عودة الدلالة إلى الدراسات اللغوية:

انتبه اللسانيون أن غاية دراسة اللغة هو المعنى لأنه صلب اللغة، فما اللغة في الحقيقة إلا معان صبت في قوالب فلا فائدة ترجى من دراسة القوالب خالية من معانيها، وهذا ما دعى إلى إعادة إدراج الدراسات الدلالية إلى صلب الدراسات اللغوية بعد أن فصلت عنها شوطا في المراحل الأولى من الدراسات البنوية وانصبت بعد ذلك الدراسات حول المعنى.

ولأنّ نظرة العلماء إلى اللغة اختلفت كل حسب توجهه ونظرته فعلماء النفس مثلا يرون أن اللغة ظاهرة نفسية، أما علماء الاجتماع يرون اللغة ظاهرة اجتماعية...الخ فكذلك دراسة المعنى حاول كل دارس وعالم تسليط الضوء على المعنى من الزاوية التي يراها مناسبة فهذا يرى أن المعنى نفسي ومنهم من يراه مركبا في المجتمع فجاءت النظريات الدلالية التي تعالج المعنى كل حسب رؤيتها فنجد النظرية الإشارية، التصوّرية، السياقية...الخ وكل هذه النظريات تبحث في المعنى وتحاول الإجابة عن سؤال مشترك كيف لنا أن نجد المعنى؟ وكيف يمكن أن نحصل على المعنى الذي يريده المتكلم ويحاول إيصاله إلى المستمع؟ وهذا هو الهدف الذي أنشأت من أجله الدراسات، كيف نستطيع أن نفسّر هذا المعنى؟ أو ننظر إليه من حيث نشأتُه وتطوُّره ومن حيث التواصلُ به وكيف تحمل القوالب المعنى؟ كيف تتغيّر المعاني من بنية إلى أخرى؟ كيف تتطوّر المعاني في نفس البنية؟ فإذا نظرنا في المسار التاريخي لكلمة ما نجد أن بينتها لم تتغيّر إلا أن معناها صار مختلفا أو أنها تحمّل عدة معان فما السبب الذي أدى إلى ذلك؟ كل هذه الأسئلة وغيرها صارت مجال بحث علماء الدلالة.

6- علم الدلالة الإدراكي (اللسانيات العرفانية):

على الرغم من اختلاف المسميات التي أطلقت على هذا النوع من التخصصات كالعرفانية، العرفنة، المعرفية، الإدراكية، الذهنية... فإن الذي يهم هو الوقوف على الأساس الذي قامت عليه حيث تعدّ اللسانيات العرفانية من العلوم اللغوية الحديثة نسبيا، وترتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات النفسية التي تهتم بعمل الدماغ ومتابعة العمليات العقلية المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك بشكل عام، ولقد ولدت اللسانيات العرفانية في الولايات المتحدة الامريكية حين وضعت الافتراضات التوليدية موضع التساؤل وقدّم بديلا عن طريق المعالجة الاستقرائية واتباع منهج أكثر تفاعلية يمنح لعلم الدلالة مكانة مركزية وينظر إلى اللغة بوصفها أداة مفاهيمية نشطة للعالم، وهي تستعير أدوات النمذجة من الهندسة وغيرها عوضا عن المنطق والرياضيات

كما أن اللسانيات العرفانية تبحث في الآليات التي يعمل بها الدماغ/ الذهن البشري لتوليد المعرفة واللغة ولا يقبل أصحاب هذا الاتجاه القول باستقلالية النظام اللغوي فهم يرون أن لا انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام، وهي في ذلك تستعين من كل العلوم وثيقة الصلة بدراسة الدماغ كعلم الأعصاب والتشريح والحاسوب، وتعتبر اللسانيات العرفانية أن المعرفة اللغوية جزء من الإدراك العقلي الذي لا يميّز بين المعلومات اللغوية والمعلومات غير اللغوية والذي يتأثر وبقوة بمحيط الإنسان وتجاربه اليومية المختلفة، فالعمليات العقلية التي تتحكم في التفكير الإنساني وتكوين المعرفة بشكل عام هي نفسها التي تتحكم في المعرفة اللغوية وفي تشكيل البنية اللغوية العامة بمستوياتها المختلفة فهناك مستوى واحد تعالج فيه المعلومات اللغوية والمعلومات الأخرى الحركية والبصرية والسمعية غير اللغوية للوصول إلى مجموعة من المعلومات لا ينبغي التمييز داخلها بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي وهو المستوى الذي يطلق عليه مستوى البنية التصورية.

ومهما يكن من أمر فإن اللسانيات العرفانية " أعادت اكتشاف البنيات اللسانية المتنوعة صوتمية وصرفية وتركيبية ومعجمية، فتم بناء على مقابلة منهجية واستعارة مصطلحية جسدنة الذهن، وتفسير معالجة الكلام "إنتاجه وفهمه" بطريقة تشبه عمل الحاسوب[12]

إن لعلم الدلالة الإدراكي خمسة مبادئ هي[13]:

1- البنية الدلالية بنية تصورية في جوهرها

2- تمثيل المعنى الموسوعي: "وهذا يعني أن المفردات لا تمثل حزما من المعاني معلبة تعليبا متقنا (وجهة النظر القاموسية) ولكنها تستخدم بوصفها نقاط دخول أو منافذ إلى مستودعات شاسعة من المعرفة المتصلة بتصور معين، أو مجال مفهومي معين"[14]

3- بناء المعنى وثيق الصلة بالتصور

4- الإدراك الجسدي: "تعني هذه الفكرة أن طبيعة التنظيم التصوري ينشأ من الخبرة الجسدية؛ ولذلك فإن الخبرة الجسدية المرتبطة بالبنية التصورية جزء مما يجعلها ذات معنى"[15]

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية نخلص إلى النتائج الآتية:

1- علم الدلالة هذه المعرفة اللسانية ظلت الخطى إليها وئيدة في البدايات وذلك لصعوبة لحظها في درج الكلام، ومع تسارع وتيرة البحوث اللسانية من جهة وتضافر التخصصات البينية أخرجت الدلالة في وفاضات عديدة نفسية اجتماعية إدراكية الخ

2- موضوع علم الدلالة هو دراسة العلاقة بين اللفظ والمعنى.

3- قدمت العديد من المقاربات لعلم الدلالة في الدرسين اللسانيين الغربي والعربي؛ ففي الدرس الغربي الحديث بشّر بالدلالة الفرنسي ميشال بريال ثم توالت بعده الدراسات من لدن دو سوسير وريتشارد وأوجدن وغير هؤلاء إلى غاية بروز علم الدلالة الإدراكي، أما في الدرس العربي فكثيرة هي المقاربات من لدن اللغويين والبلاغيين والفلاسفة.

4- اللسانيات الإدراكية أو علم اللغة الإدراكي the cognitive linguistics ملتقى عدد من العلوم منها ما هو خاص بالنفسي، ومنها ما هو خاص بالمعرفي، ومنها ما هو خاص بالاجتماعي، وصولا إلى الحاسوب، وعليه فالمعنى في التصور الإدراكي دينامي وحيوي، فالأصل الاستعمال وتجريد قواعد شكلية لتمثيل المعرفة باللغة[16]

5- تهتم اللسانيات العرفانية بالآليات التي يعمل بها الدماغ لتوليد المعرفة واللغة.

6- لا تعدّ اللغة في هذا التوجه العرفاني جهازا منفصلا وإنّما هي جزء من منظومة مفهومية كاملة.

7- تركز اللسانيات العرفانية على الدلالة وتعيد لها مكانتها بين المستويات اللغوية الأخرى

8- تقوم اللسانيات الإدراكية على ثلاث ركائز أولها أن اللغة ليست ملكة أو قدرة إدراكية مستقلة من الإدراك عموما، والثاني أن النحو خلق للمفاهيم، وليس محض قواعد، والثالث أن المعرفة اللغوية رهن بالاستعمال[17]

الإحالات والهوامش:

[1] ابن فارس (أحمد)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط/ د ت، ج2، ص259- 260

[2] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د ط/ دت، باب (الدال)، ج16، ص ص 1413- 1414.

[3] زرال (صلاح الدين)، الظاهرة الأدبية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1/ 2008، ص55.

[4] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسّان الطيّان ويحي مير علم، مراجعة شاكر الفحّام وأحمد راتب النّفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د ط/ د ت، دار الفكر، دمشق، ط1/ 1983.

[5] الجرجاني (الشريف)، معجم التعريفات، تحقيق محمّد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د ط/ 2004، ص 109

[6] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ مكتبة انجلو المصرية ، ط/03، 1976م، ص 38

[7] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط/ 2001، ص46

[8] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط/ 2002، ص127.

[9] علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ألفا للوثائق، الجزائر، ط 1/ 2020، ص 68.

[10] ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د ط/ 1952، ج2، ص 146.

[11] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة الجزائر02، 1993.

[12] ابراهيم بشار، الأبعاد النصية والتداولية في التراث البلاغي العربي، رسالة دكتوراه، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015- 2016، ص 48.

[13] ففيان إيفانز، ميلاني جرين، ما هو علم الدلالة الإدراكي، ترجمة: أحمد الشيمي، مجلة فصول، عدد خاص بالإدراكيات، الالهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، المجلد (4/25)، العدد (100)، صيف 2017، ص 79.

[14] المرجع نفسه، ص 82.

[15] المرجع نفسه، ص 80.

[16] ينظر: محمد فكري الجزار، أما قبل، مجلة فصول، عدد خاص بالإدراكيات، الالهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، المجلد (4/25)، العدد (100)، صيف 2017، ص 11.

[17] المرجع نفسه، ص ص 11- 12.